الشِعـــر وَ ...

الشِعـــر والرّوايـــة

يعنى النقد الادبي بالاصناف ، عن حق وبحكم الضرورة . لذلك يميز النقد الحديث تميزا حادا بين الشعر والرواية . وكلما ازداد وعينا النقدي ، قوي ميلنا لابراز الفروقات والتمييزات . وهكذا ، ربما كان نتيجة لوعينا المتزايد لاصناف النقد المحددة ، ان اخذت تبدو لنا الانواع المختلطة نظير « القصيدة النثرية » و « الرواية الشعرية » انها موضع ريبة ، وغير دارجة ، ولا تزاول اليوم الا فيما ندر .

على ان الصورة التي يحصل عليها المرء ان هو تأمل في طاقة المخيلة الشعرية – لا في الفروقات الشكلية – خلال السنوات الخمسين الماضية ، هي صورة لا تدل على ان الشعراء يختلفون عن الروائيين بقدر الاختلاف المفترض وجوده بين القصائد والروايات . بل ان الصورة التي يحصل عليها المرء هي صورة كتّاب ذوي مواهب شعرية عظيمة يحاولون تحويل الحياة العصرية اللاتقليدية الى لغة رمزية . لقد تردد بعض الكتّاب الحديثين ، على ما يظهر ، بين كتابة الشعر وكتابة النثر . وكما ان بعض المؤلفين حاليا يكتبون الشعر وهم يفكرون بالنثر ، كذلك قام بعض الكتّاب الذين بدوا موهوبين كشعراء بتأليف الروايات في مطلع القرن الحالي . ذلك ان مقتضيات المواضيع التي ربما كانت تتطلب شعرا في الماضي ، لا يمكن معالجتها في العالم الحديث بغير النثر احيانا . لكن يحدث من جهة اخرى ان كاتبا غير منازع في شعره ، نظير اودن ، يستخدم في بعض الاحيان اشكالا للتعبير عن آراء تبدو اصلح لمقالة او يوميات . ولا يتوجب على الكاتب ذي الموهبة الشعرية ان يقرر بين ان يكون شاعرا او كاتب نثر، بقدر ما يتوجب عليه ان يقرر بين ان يحصر موضوعه ضمن الحدود التي يفرضها الشعر في الظروف الحديثة ، وبين ان يحطم حدود الشكل تلك وفي نثر يبعث بعض آثار الشعر .

ان ابسن وجيمز جويس مثلان واضحان على الشعراء الذين ارغمتهم مواضيعهم على التخلي عن الشعر من اجل النثر. شرع ابسن يكتب مسرحيات شعرية منظومة بمسرحيتيه « براند » و « بير غينت »، وتحول الى النثر لان اللغة التي تفصل طريقة التخاطب والتفكير عند جمهور المتفرجين على مسرحياته ، عن الشعر الذي ينطق به ممثلوه على المسرح ، كانت من العظمة بحيث لم يكن الجمهور ليؤمن بحقيقة الاشياء المتكلم عنها وبصدق واهميتها. ومع هذا، فاننا لا نستطيع القول ان مسرحيات ابسن المتأخرة لم تعد نتاج شاعر لانه كتبها نثرا فان مسرحيات كمسرحية « اشباح » ومسرحية « بيت الدمية » هي شعر رمزي منقول بواسطة النثر ومسرحيات ابسن الواقعية هي ، بمعنى مهم ، شعر الى الحد ذاته الذي نعتبر به مسرحياته الشعرية شعرا .

كان جيمز جويس عظيم الاعجاب بابسن طوال حياته ، وقد حاول ان يكتب للقرن العشرين اعمالا في مستوى الاعمال التي كتبها هوميروس و دانته وشيكسبير و غيته لازمنتهم . ويتضح من القصائد القليلة التي نشرها ان الاغنية الايرلندية الرومنطيقية كانت تؤلف مفهومه للشكل الشعري الذي يستطيع استخدامه الا ان كمية المعلومات والاطار الواسع الذي احتاج اليه في رواياته كانا عظيمين جدا، بحيث لم يكن ليجد حاجتها لا هذا النوع المحدود من الشعر ولا اي شكل آخر من اشكال العروض والقوافي الراهنة .

فروايتا « يولسيز » و « مأتم فينيغان » هما ، كمواد ، من الضخامة والغزارة بحيث لا يمكن احتواؤهما